

شارك بالأول والجدد احظ

جليل العتيق
باريس

آثاره : أ — العامة :

لبلأ آثار كثيرة سنحاول الاحاطة بها، قدر الامكان (مرتبة زمنياً).

١ — ١٩٥٤ — ملاحظات عن المخطوطات العربية في برلين.

Oriens (مجلة) ٧ (٨٥ — ٨٦)

٢ — ١٩٥٤ — رسالة في الفلك لابن قتيبة.

Arabica (مجلة) ١ (٨٦ — ٨٨)

٣ — ١٩٥٤ — الأنواء عند العرب

Arabica ٢ (١٧ — ٤١)

٤ — ١٩٥٦ — ثقافة معاوية.

SI (الدراسات الاسلامية) (مجلة) ٦ (٥٣ — ٦٦)

٥ — ١٩٥٧ — الشاعر ابن مفرغ الحميري.

منوعات ماسينيون (باريس) ٣ (١٩٥ — ٢٣٢)

٦ — ١٩٥٧ — مراحل الانحلال الثقافي في المشرق العربي

(٩) (٨١ — ٩٢)

٧ — ١٩٦٠ — مشروع من أجل إعادة نشر، مروج

الذهب، للمسعودي (بالانجليزية) «الكتاب الألفي»

للمسعودي (٣ — ٤)

٨ — ١٩٦٠ البصرة . بلد الواقعية والواقعيين.

وقائع المؤتمر الخاص بالاجتماع الاسلامي (كتاب):

(٣٣١ — ٣٤٥)

٩ — أكان «المسعودي» مؤرخاً أم أديباً؟

(بالانجليزية) مجلة الدراسات التاريخية الاجتماعية

(٢٣١ — ٢٣٤)

شارل بلأ ، واحد من ألمع المستشرقين في العالم اليوم، وهو نموذج فذ للمدرسة الاستشراقية الفرنسية الكلاسيكية، إنه إمتداد لمدرسة ماسينيون Massignon و بلاشير Blachère.

وللأستاذ بلأ صفات يتميز بها عن أقرانه، منها دقته في البحث والتحقيق العلميين، وحيدته وإنصافه العرب وحضارتهم، وحذقه اللغة العربية، حذقاً يحسده عليه بعض العرب، أنفسهم!

ولد بلأ عام ١٩١٤ وأتم دراسته الثانوية في المغرب ثم نال «الليسانس» من جامعة بوردو Bordeaux الفرنسية، وحصل على (التبريز) على المستوى القومي، وفي سنة ١٩٣٥ عين أستاذاً للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس فأستاذاً للغة والحضارة العربيتين في جامعة باريس (١٩٥٦) ثم في السوربون حتى عام ١٩٧٨ حيث طلب إحالته للتقاعد.

وإلى جانب ذلك عمل مديراً لمعهد الدراسات الاسلامية في جامعة باريس (٩٦٨ — ١٩٧١) ثم مديراً لقسم الدراسات العربية والاسلامية في السوربون نفسها من عام ١٩٧٢ إلى ١٩٧٨ م.

— يتولى الأستاذ بلأ — منذ عام ١٩٦٣ — إدارة الطبعة

الفرنسية لدائرة المعارف الاسلامية ونشر فيها الكثير من الموضوعات العلمية الرصينة.

— عضو الجمع العلمي لعلوم ما وراء البحار وعضو

مراسل للمجمع العلمي العربي في اهدن (عليكرة).

— حضر عدداً كبيراً من المؤتمرات العلمية وألقى مئات

المحاضرات في شتى أنحاء العالم تتناول جوانب من

الحضارة العربية — الإسلامية.

— يكتب بالانجليزية والايطالية والاسبانية (إضافة إلى

فرنسية والعربية).

- ١٠ — ١٩٦١ ابن حزم الأندلسي
مجلة الدراسات التاريخية الاجتماعية مج ٩ (٧١) —
(٧٤)
- ١١ — ١٩٦١ آراء في «ثورة في الآداب العربية»
Oriens مج ١٩ (١٠٧ — ١١١)
- ١٢ — ١٩٦٢ — إسبانية الاسلامية في آثار المسعودي
مؤتمر اسراسات العروة والاسلامية (في قرطبة) —
كتاب
(٢٥٧ — ٢٦٤)
- ١٣ — ١٩٦٢ — ١٩٦٣ — تصور الحلم في المعتقدات
الاسلامية صحيفة معهد الدراسات الاسلامية
(مدريد)
مج ٧٦ (١ — ١٢)
- ١٤ — ١٩٦٢ — النثر العربي في بغداد
Arabica مج ٩ (٤٠٧ — ٤١٨)
(نقله إلى العربية د. اكرم فاضل: المورد، (مجلة)
(عدد خاص ببغداد) مج ٨ : ٤ (٤٨٥ — ٤٩٠)
- ١٥ — ١٩٦٣ — الجدل والهزل في صدر الاسلام
الدراسات الاسلامية (مجلة) مج ٢ (٣٥٣) —
(٣٦٢)
- ١٦ — ١٩٦٣ — شاعر من المدينة (المنورة)
Oriens مج ١٦ (٩٩ — ١٠٩)
- ١٧ — ١٩٦٤ — تبين مفهوم الأدب.
الدراسات الشرقية مج ٥، ٦ (١٩، ٣٧)
- ١٨ — ١٩٦٥ — من أجل وضع برنامج لنشر المخطوطات
العربية الخاصة باسبانية BAEI (مجلة) مج ١ (١٥٩)
(١٦١)
- ١٩ — ١٩٦٥ — ١٩٦٦ — دوائر المعارف (الموسوعات)
في العالم العربي
الدفاتر التاريخية العالمية (مج ٩ (٦٣١) —
(٦٥٨)
- ٢٠ — ١٩٦٦ — ملاحظات عن طبوغرافية فرنسة في
كتاب Roger (نزهة المشتاق للادريسي).
منوعات Crozet (كتاب) مج ٢ (٧٩٧ — ٨٠٧).
- ٢١ — ١٩٦٨ — أبو العنيس الصيمري — أحد ظرفاء
بغداد
دراسات شرقية (تكريما لبروكلمان) (كتاب)
(١٣٣ — ١٣٧)
- ٢٢ — ١٩٦٨ — المسعودي والشيعة الأمامية.
- ٢٣ — ١٩٧٠ — Josephschacht (ترجمة حياة هذا
المستشرق الألماني بمناسبة وفاته).
Arabica (مج ١٧ (١ — ٢).
- ٢٤ — «الموشح والزجل همزة الوصل بين ثقافات مختلفة
مجلة كلية الآداب (بجامعة الرياض) مج ١ (٣٨) —
(٥٢)
- ٢٥ — ١٩٧٣ — الناقعة على الآلة الجامعة للروادني
(١٠٩٤ هـ) (تحقيق)
- ٢٦ — ١٩٧٤ — الدراسات الشرقية (دمشق) مج ٢٦
الدراسات الاسلامية في عشرين عاماً.
Arabica مج ٢١ (١ — ١٠)
- ٢٧ — ١٩٧٩ — عبد الجليل بن وهبون .. شاعر أندلسي
متشائم الفصل (مجلة) العدد (٢٥) (يونيو) (٥٠) —
(٥٣).
- آثاره ب — الخاصة (ببليوغرافيا : الجاحظ)
- ١ — ١٩٤٩ — صحف مختارة من كلام أبي عثمان
الجاحظ (منتخبات من كتب الحيوان والبخلاء
والبيان والتبيين مع مقدمة بالفرنسية) — صدر الجزء
الأول منه فقط.
- ٢ — ١٩٥١ — البخلاء — ترجمه إلى الفرنسية — صدر
في مجموعة من الروائع لليونسكو.
- ٣ — ١٩٥٢ — النابتة للجاحظ — وثيقة هامة للتاريخ
السياسي الديني للإسلام. (تحقيق وترجمة).
- AIEO مج ١٠ (٣٠٢ — ٣٢٥)
- ٤ — ١٩٥٣ — في الرد على المشبهة (تحقيق)
المشرق (مجلة — بيروت) حزيران (يونيو) — مج
(٤٧).
- ٥ — ١٩٥٤ — التبصر بالتجارة (ترجمة إلى الفرنسية)
Arabica (١٥٣ — ١٦٦)

- ٦ — ١٩٥٥ — التبريع والتدوير (تحقيق)
صدر عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية — دمشق. (١١٥ ص).
- ٧ — ١٩٥٥ — الفصل الأخير من كتاب البخلاء (ترجمة)
Arabica مج ٢ (٣٢٢ — ٣٥٢).
- ٨ — ١٩٥٥ — ١٩٥٦ — كتاب القول في البغال — (تحقيق) (١٧٨ ص)
صدر عن شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده ضمن مكتبة الجاحظ.
- ٩ — ١٩٥٦ — لعبة أدبية منسوبة للجاحظ (عن مخطوطة إستانبول) المشرق (٢)
- ١٠ — ١٩٥٦ — دم العلوم ومدحها (تحقيق) (يرى أنها منحولة)
- المشرق مج ٥٠ (٧٠ — ٧٨)
- ١١ — ١٩٥٧ — مصنفات الجاحظ (جرد بيبليوغرافي)
Arabica مج ٣ (١٤٧ — ١٨٠)
- ١٢ — ١٩٥٧ — مفارقة الجوّاري والعلمان (تحقيق ونعنيق)
دير المكشوف — بيروت (٩٤ ص).
- ١٣ — ١٩٥٨ — رسالة الجاحظ في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في فعله (يرى أنها منحولة)
المشرق مج ٥٢ (٤١٧ — ٤٩١)
- ١٤ — ١٩٦١ — جاحظ في البصرة وبغداد وسامراء (كتاب للأستاذ بلا، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني — دمشق — ٤٧٠ ص).
- (ستناول هذا الكتاب في الفقرة القادمة).
- ١٥ — ١٩٦٢ — الإمامية في فكر الجاحظ.
SI (دراسات إسلامية) مج ١٥ (٢٣ — ٥٢)
- ١٦ — ١٩٦٣ — كتاب مرفف آخر (منسوب إلى الجاحظ).
- مؤغات Masse (كتاب)
(٣١٧ — ٣٢٦)
- ١٧ — ١٩٦٥ — حول كتاب الفتيا للجاحظ
دراسات عربية وإسلامية في تكريم المستشرق «جب»
(كتاب) : (٥٣٨ — ٥٤٦).
- ١٨ — ١٩٦٦ — الجاحظ رائد الجغرافية الانسانية (في كتاب الأمصار وعجائب البلدان) (تحقيق).
المشرق مج ٦٠ ج ٢ (١٦٩ — ٢٠٥)
- ١٩ — ١٩٦٧ — الجاحظ والبلدان والحضارات والعقائد الدينية
JA (المجلة الآسيوية) باريس — ج ٢٥٥ (٦٥ — ١٠٥).
- ٢٠ — ١٩٦٧ — رسالة الجاحظ في (المفارقة) تحقيق وترجمة
Arabica مج ١٤ (٢٥٩ — ٢٨٣).
- ٢١ — ١٩٦٩ — مسائل والجوابات في المعرفة (تحقيق)
المشرق مج ٦٣ (٣١٦ — ٣١٩).
- ٢٢ — ١٩٦٩ — من رد الجاحظ على أبي إسحاق النضام (تحقيق)
المشرق مج ٦٣ (٣١٩ — ٣٢٦).
- ٢٣ — جاحظ والأحنف بن قيس (تحقيق)
المشرق (تشرين الثاني — كانون الأول) : (٦٦١ — ٦٧٢)
- ٢٤ — ١٩٧٦ — من رسالة جاحظية في تفضيل البص على الظاهر (تحقيق عن مخطوطة المتحف البريطاني ارقم ١١٢٩).
- حوليات الجامعة التونسية (١٨٣ — ١٩٢) مج ١٣.
- ٩ — آراء :
- نقد وجر الأستاذ بلا آراءه عبر أطروحته الهامة التي نشرها في باريس (١٩٥٣) وعنوانها :
- Le Milieu Basrien et La Formation De Gahiz**
والترجمة الحرفية لهذا العنوان:
لوسط البصري وتكوين الجاحظ.

○ إن الجاحظ في الواقع نتاج صافٍ للبصرة، حيث قضى فيها القسم الأدنى من حياته، ولكنه كان نبته إقليمية تغذت بنسج قوي مستمد من أرض خصبة، فلم تتفتح بصورة كاملة.

○ إن عصره (الجاحظ) الذي دعاه بعضهم (أحمد أمين) بعصر الجاحظ، هو بلا ريب من العصور الهامة والفاصلة في التاريخ الاسلامي.

○ إن تهكم الجاحظ ذاتي فان ملاحظته وتصويره عيوب معاصريه يجعلانه أقرب إلى لابروير **Bruyère** ومولير **Molière** فهماً إلى غيره من كتاب العربية، وهذا ما يحملنا على اعتباره نسيج وحده في هذا الباب، ويجدر بنا ألا ننسى أنه عاش في البصرة، في وسط سادت فيه الخفة والتهكم وعمّه الميل إلى البحث والتندر، ومن هنا نشأ ميله (الجزئي) إلى المزاح، شريطة ألا يخرج هذا المزاح عن حدوده.

○ لم يكتف الجاحظ بالنظر والسمع، فقد التهم كل الكتب التي وقعت تحت يده، وفي الوقت الذي كان يوسع أفق ثقافته العربية، أخذ في تعلم التاريخ والأدب الفارسيين في كتب (تُقلت حديثاً إلى العربية)، وقد زودته مراقبته للوسط الاجتماعي إبان تطوره، بمعلومات أفاد منها على مقياس واسع، في آثاره المقبلة.

○ يمتاز (الجاحظ) بروعة الأسلوب المتنوع وقوته مع التزامه الحرية.

○ الجاحظ لم ينج من العيوب التي امتاز بها الكتاب العرب، الآخرون، وقد استطاع مع ذلك في كثير من مؤلفاته أن يحتفظ باهتمام القارئ إلى حد يجعل جميع آثاره تقرأ بلذة على الرغم من (التكرار) الذي حاول تجنبه، وعلى الرغم من فقدان النهج المنطقي وتسلسل الأفكار والاستطرادات التي لا تحصى التي تعطي أسلوبه طابعه وطعمه الخاص

○ إن آثار الجاحظ، بصرف النظر عن عدد كبير من المقاطع ذات القيمة الأدبية والفنية والجمالية فهي، أي — آثار الجاحظ — ينبوع ثر من المعلومات، عن الفعالية الفكرية والدينية والعلمية والاجتماعية عند العرب والأعاجم حتى أواسط القرن الثالث للهجرة، وهي أبعد من أن تؤلف وحدة متجانسة، متماسكة، بل تظهر عند قراءتها، كأنها سياق غير متلاحم الأجزاء من الأحاديث والاستشهادات والملاحظات والآراء، لا يربط بينها رابط ظاهر أو علامة منظورة.

وقد أشرف على إعداد هذه الرسالة الجامعية الهامة أستاذه ريجيس بلاشير **BLACHERE**.

بعد ذلك بعدة سنوات، صدرت في دمشق (١٩٦١) الترجمة العربية تحت عنوان: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تولى الترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني (وهو من المتخصصين بنشر آثار أبي حيان التوحيدي، أحد ألمع تلامذة المدرسة الجاحظية!).

قدم الكيلاني لكتابه قائلاً:

«اشتملت هذه الدراسة الموضوعية عن الوسط البصري، على كل ما له علاقة بمدينة البصرة منذ القرن الأول حتى زمان الجاحظ سواء من الناحية الاجتماعية أو الأدبية أو الفكرية أو الاقتصادية مع الحرص على إظهار التفاعلات التي عملت على تكوين شخصيته وذهنيته الجبارة».

وعمد المترجم إلى الحاق بحث لبلا عن «الجاحظ في بغداد وسامراء» (نشره في مجلة الدراسات الاسلامية — التي تصدر في روما (١٩٥٢).

فترجمه والحقه بالكتاب «إتماماً للفائدة».

وكان د. علي جواد الطاهر مصيباً عندما استغرب تصرف الكيلاني في تغيير عنوان الكتاب في جملة ملاحظات نشرها تحت عنوان «ترجمة مصادر الجاحظ (المورد مج: ٢ (٢٦٧ — ٢٦٩ (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م)».

من آراء بلا في هذا الكتاب.

○ إننا لا نستطيع دراسة الجاحظ من (الداخل) بل من الجائز دراسته من (الخارج) على اعتبار أن أغلب آثاره هي أبعد من أن تكون نتيجة هواية كاتب وإع لمواهبه، بل هي مشروطة بحدوث ذوات طبائع متنوعة، فيجب إذن التفتيش عن الفرصة والدوافع في الحالة الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية السائدة حينئذ، كما يجب التفتيش في ظروف حياته الخاصة التي دفعته إلى كتابة رسالة في الجد والهزل والفرق بين العداوة والحسد وعندها يصبح التوقيت الزمني لآثاره أمراً لا غنى عنه.

○ الجاحظ، ألف كتباً لم تلبث، لمعالجتها أحياناً مواضيع غير عادية، أن أصبحت غير مفهومة، وقد أصابها التشويه غير المقصود، وزادتها خطورة: تشويهاً متعمداً، ونحن اليوم إزاء مقاطع عديدة مغلقة بسد محكم.

موضحاً أن الجاحظ، عندما فرغ من تصنيف «الحيوان» وجد بين أوراقه، مادة شعرية ونثرية أدت إلى نهوضه بوضع هذا الكتاب!

وقد صنع بلّا للكتاب فهرس علمية دقيقة.

واثر صدور «القول في البغال» تولى الأستاذ عبد السلام محمد هارون نقده، نقداً عنيفاً (مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) مج ٢ ج ١ (١٧٨ — ١٨٨) — ١٩٥٦ .. بعد ذلك نشرت المجلة رد الأستاذ بلّا (مج ٣ ج ١ (١٦٢ — ١٦٣) — ١٩٥٧ .. وقد اتسم رده بالهدوء والتواضع والإيجاز، وأيد الأستاذ هارون في بعض فقراته، وخالفه في غيرها، وفي نهاية التعقيب، غمز الأستاذ هارون، غمراً خفيفاً بسبب عدم ملاحظته بعض الاضطراب الذي لحق بعض صفحات كتاب «العثمانية» الذي تولى تحقيقه!

ومن النصوص الجاحظية الهامة التي حققها بلّا كتاب التربيع والتدوير، والمؤسف أنه لم يترجم مقدمته التي كتبها بالفرنسية والتي شغلت زهاء (١٥) صفحة، ولعل السبب أن الكتاب صدر عن «المعهد الفرنسي للدراسات العربية» بدمشق، فلم يعرف القارئ العربي رأيه في أهم نص ساخر كتبه الجاحظ! ويحسن بنا الإشارة إلى أن الأستاذ بلّا وضع في ختام الكتاب، قاموساً لغوياً شرح فيه المصطلحات اللغوية، التاريخية والاجتماعية بالفرنسية، وهكذا يمكن القول إن كتاب التربيع والتدوير، يعد من أهم الكتب التي ينتفع بها دارسو الأدب العربي من المستشرقين الجدد، بشكل خاص.

وكان الأستاذ بلّا يرغب نشر كتاب البخلاء، وعندما سبقه إلى ذلك الدكتور طه الحاجري، أثر الاكتفاء بترجمة هذا الكتاب إلى الفرنسية، وتعتبر هذه الترجمة من أهم الأعمال العربية التي نقلت إلى الفرنسية، وبرهن بلّا في هذه الترجمة، على طول بابه في فهم اللغة الجاحظية العويصة! ولا بد هنا من التنويه بأعجاب الأستاذ بلّا بنشر الأستاذ الحاجري لكتاب البخلاء!

○ في عام ١٩٦٢ دُعي بلّا لزيارة الهند وإلقاء محاضرة مناسبة، يختار موضوعها بنفسه، فكان حصيلة ذلك دراسة «الهند والهنود في نظر الجاحظ» وكتب بلّا هذه الدراسة بعد أن خاض عباب الفكر الجاحظي، وألقاها باللغة الانجليزية، وقد أعجب اخواننا الهنود بهذه المحاضرة الطريفة، فتولوا ترجمتها إلى

هذه أهم الآراء التي طرحها «بلّا» في أطروحته، وقد أضحت هذه الآراء منذ نشرها (١٩٥٣) بالفرنسية و(١٩٦١) بالعربية، منهلاً للدارسين، وإذا كان البعض قد أشار إلى أفكار الأستاذ «بلّا» — وهذا ما تقتضيه الأمانة العلمية — فإن البعض لم يكن أميناً، وآثر سرقة جهود مستشرق أمضى سنوات، والتهم مئات الكتب في سبيل وضع هذه الدراسة [يذكر بلّا بامتنان مساعدة أستاذه : ماسينون وبروفنسال، في رفده بنوادر المطبوعات العربية المتوفرة في خزانتهما].

كما ناقش البعض آراءه، وأحدث هؤلاء علي بوملحم (في كتابه : المناحي الفلسفية عند الجاحظ (بيروت : ١٩٨٠) فقد ناقش فكرة بلّا بأن الجاحظ نتاج صاف للبصرة، قائلاً:

يؤخذ على هذا الرأي إغفاله تأثير بغداد في الجاحظ، تلك المدينة التي كانت عاصمة الدنيا آنذاك، والتي سلخ فيها أبو عثمان (الجاحظ) نحو نصف عمره، فيها صنف أكثر كتبه، فضلاً عن أن الأخذ بنظرية تأثير البيئة التي اعتمدها (بلّا) تحتم عليه السير بها إلى نهاية المطاف والقول بأن الجاحظ تلقى تأثير بغداد كما تلقى تأثير البصرة (ص ٢٣).

وقد تابع بلّا جهوده في دراسة الجاحظ، ونشر تراثه المخطوط، وقد تولى تصوير معظم المخطوطات الجاحظية حالماً بنشر «مكتبة الجاحظ»! فكان أن نشر طائفة منها .. وفي مقدمة هذه النصوص :

القول في البغال،

نشر هذا الكتاب تحت عنوان مكتبة الجاحظ أي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ — المتوفى سنة ٢٥٥ هـ — ٨٦٨ م — حقق الكتاب وعلق عليه ووضع الفهارس شارل بلّا — أستاذ اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس .. وقد تولى شيخ الخطاطين : سيد إبراهيم، ترزين الكتاب بخطوطه الرائعة.

عثر الأستاذ بلّا على مخطوطة «القول في البغال» في مكتبة داماد إبراهيم باشا (رقم ٩٤٩) باستانبول وأشار (ص ٤) إلى وجود نسخة من هذه المخطوطة في الموصل — غير أنها فقدت . وقدم للكتاب بعشر صفحات، ركز فيها على إثبات نسبته إلى الجاحظ، وقال إنه صنّفه بعد «الحيوان» وحدد ٢٤٠ — ٢٤٥ هـ زمناً تقريباً لوقت التصنيف وحاول تقديم صورة «عصرية» لكيفية تفكير الجاحظ في وضع هذا الكتاب الطريف،

فقدم أطروحته : (١٩٦٧م)

La géographie humaine

du Monde Musulman

Jusqu'au milieu du siècle

فكانت مثلاً للجهود العلمي الرصين، واصل ميكيل دراسة الفكر الجغرافي العربي. عامة، والفكر الجغرافي عند الجاحظ خاصة، مسترشداً بأفكار أستاذه .

ومن حسن الحظ أن هذه الدراسة وجدت طريقها إلى قراء العربية، بعد أن تولى إبراهيم خوري تعريبها وصدر جزآن منها (عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق — ١٩٨٣) تحت عنوان: جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر.

فن تحقيق النصوص عند بلّا:

من خلال قراءة عدد من النصوص الجاحظية التي تولى بلّا نشرها وتحقيقها، نحاول إيجاز طريقته في التحقيق بما يلي:

١ — يسير بلّا على طريقة أساطين الاستشراق في تحقيق النصوص، والتي تعتمد على :

أ — إخراج النص، صحيحاً خالياً من الأخطاء

ب — التقليل من الهوامش إلى أقصى حد ممكن.

ت — صنع فهرس علمية للنص.

٢ — يعمد بلّا إلى تقسيم النص إلى فقرات، وهذا يتطلب فهماً دقيقاً للنصوص، وحذاً لو يتبع جميع المحققين هذه الطريقة العلمية، العملية!

٣ — اعتمد بلّا في الغالب ، على نسخة مخطوطة واحدة، في تحقيق معظم النصوص التي نشرها .. وهو أمر متعب، مرهق.

٤ — يتميز بالعلمية والموضوعية، ففي حالة عدم عثوره على بيت شعري، مثلاً، يقول: لم نجد هذا البيت في مراجعنا.

٥ — في حالة الشك يوضح في الهامش: لعل الصواب.

أما الملاحظات «السلبية» على أعمال الأستاذ بلّا فيمكن حصرها فيما يلي :

١ — قلة استعانتة بالمعجمات اللغوية كاللسان أو التاج.

٢ — استخدامه بعض الكتب الحديثة في تخرّيج بعض الأبيات

اللغة العربية، وشرتها مجلة (ثقافة الهند) التي يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية (مج ١٤ ج ٢ (أبريل / نيسان ١٩٦٣) — ٥٨ — (٧٠) ..

في مطلع الدراسة، أشار المحاضر إلى جذور العلاقات العربية/ الهندية وازدهارها على مرّ العصور، وبيّن أهمية الموقع الاستراتيجي الذي تحتله البصرة، وأوضح احتكاك الجاحظ بطائفة من الهنود الذين يقيمون في ثغر العراق، وكذلك بعدد من العرب الذين زاروا الهند.

ويرى المحاضر أن الجاحظ تأثر بالفلسفة الهندية من خلال كتاب السند هند، وغيره من روائع الفكر الهندي ومما قاله: ومن الجدير بالذكر أن الجاحظ كان ممن اعترفوا بنظرية التطور قبل دارون بكثير، فوضع كتاباً أسماه «فخر السودان على البيضان»، عبّد فيه الهنود أيضاً من الأولين.

○ واعتنى الأستاذ بلّا بجهود الجاحظ في علم الجغرافية، فنشر طائفة من الدراسات والنصوص، محاولاً إثبات أصالة الفكر الجغرافي عند الجاحظ، داحضاً نظريات خصومه، ومن بين هذه النصوص «كتاب الأمصار وعجائب البلدان» الذي نشره تحت عنوان مثير، عاطفي هو: الجاحظ: رائد الجغرافية الانسانية، وأشار في تقديمه إلى قلة عناية الوراقين بهذا النص، وهكذا لم تصل إلينا سوى قطع صغيرة منها، يحتفظ بها المتحف البريطاني (الرقم ١١٢٩)، ورد الأستاذ بلّا إتهامات المسعودي وخلص إلى أن الجاحظ: يدرس العالم من خلال الانسان، ويضع أسساً متينة لجغرافية مرتكزة على نظريته الشخصية فيما يربط الكائنات بوسطها من الروابط، وفيما للتربة والماء والهواء من تأثير في كل الكائنات، ولذلك يتطرق لخصائص البلدان واختلافها ويشي على الله الذي «جعل بعض الاختلاف سبباً للاتلاف».

وإلى جانب ذلك يدرس (الجاحظ) ما للمجتمع البشري من الأنظمة السياسية والدينية والاقتصادية، وتدلل ملاحظاته على فطنته وقدرته على مجاوزة حدّ البسيط إلى المركب والمفصل إلى المجلمل.

فلا يرتفع دفعة واحدة إلى ما نسميه الآن، بالجغرافية الانسانية ولكنه يقترب إليها شيئاً فشيئاً .

وقد شجع بلّا تلامذته على التعمق في دراسة الفكر الجغرافي للجاحظ ، فكان أن ترّسم اندريه ميكيل MIQUEL خطى أستاذه

الشعرية: (مجانى الأدب) — مثلاً!

٣ — قلة عنايته بكتابة دراسات توضع كمقدمات للنصوص التي نشرها باللغة العربية.

وبعد :

لعلي وفقت في تقديم الأستاذ بلّا إلى القراء، وأعترف أن الاحاطة بكل أعماله ومآثره تتطلب كتاباً برأسه، وآمل أن ينهض أحد طلبته ، وهم كثير، والحمد لله، بهذه المهمة الشاقة! .
وختاماً آمل أن يكون هذا المقال بداية تكريم وإنصاف لعالم جليل، منصف، وليكن أيضاً شمعة أوقدها على صفحات «عالم الكتب» تحية لميلاده السبعين!.

بلويات

○ يشير اسم «شارل بلّا» «إشكالية» فهو: بيلا، وبللا، وبيلا، وبلات ..

والطريف أن الهنود رسموا اسمه : تشارل بلاط!

الأستاذ بلّا يفضل كتابة اسمه بالحروف اللاتينية.

○ من عاداته النهوض المبكر، فهو ينهض في الخامسة

والنصف صباحاً.

○ لا يزال يواظب على الحضور إلى جامعة السوربون أسبوعياً، على الرغم من إحالته إلى التقاعد، وهدف الحضور لقاء الأصدقاء والطلبة وتسلم البريد.

○ يجيد معظم اللهجات العربية، عدا المصرية (التي لم يوفق في إتقانها!)

○ ينصح العرب بدراسة الطب بلغتهم، لأن اللغة العربية، حية، لا تختلف عن أرقى اللغات العالمية.

○ يعتبر كتابه «الحلم عند العرب» (المطبوع في بيروت) من الكتب النادرة والهامة في هذا الموضوع، وقد قاده الجاحظ إلى الأحنف بن قيس — الخليم والحكيم المعروف — وقاده هذا إلى تأليف هذا الكتاب!.

○ زار الأستاذ بلا المملكة عدة مرات وألقى محاضرات في جامعتي الرياض والملك عبدالعزيز بجدة، وهو يعتز بصداقة عدد من علماء المملكة وفي مقدمتهم مؤرخها الشيخ حمد الجاسر.

○ يعتقد أنه تم نشر جميع النصوص الجاحظية، ولا يتوقع ظهور مخطوطات جديدة، أما دراسة الفكر الجاحظي فتستمر فترة طويلة!.